

فصول سرسية في الأثر الرمزي

٥ - الرواية المسرحية

في التاريخ والفن

بقلم أحمد حسن الزيات

أوار العمل - الحركات

هي أحد لسانى العمل . ومصاحبتها للكلام في إيالة الفكرة طبيعية في الناس منشأها ضعف العبارة وعجز اللغة عن تصوير ما يجول في النفس من خواطر ومشاعر . لذلك نجد حركات الجسم وملامح الوجه تشتد وتمتد كلما أصاب اللسان عى أو لكنة . ومن ثم كانت الشعوب ذات الخيال القوى والأحاساس الشديد أ أكثر الأم حركة وأشدّها لهجة . والمرء اذا ما التاث عليه القول لنقص طبيى في منطقة أو لضعفه في اللغة التى يعبر بها ، اعتمد على هذه الدلالات المنظورة فرنها وقواها كما ترى في الأخرس والبادى في تعلم لغة جديدة . وأشد ما تكون الحركات قوة وظهوراً حين ثور النفس وتضطرم العواطف ، فتتفجر من اللسان والجوارح والملامح . لذلك كانت الحركات عنصراً من العمل الروائى ، وجزءاً من الفن الخطائى ، لشدة انفعالهما وكثرة مفاجآتهما وازدحامهما عادة بالمواقف الثائرة أو الساخرة . على أن الحركات قد تقوم بنفسها مقام الكلام كما ترى في الخيال الشمسى والخيال الظلى والرقص التمثلى مثلاً . وليس من شأننا أن نتعرض لهذه الأبحاث فلها فن آخر ، وانما حملنا على ذكر الحركات ذيادة عن حق البلاغة في العمل الروائى والمسرحى ، وقد مر شيء من ذلك عند الكلام عن العبارة ، وربما عدنا اليه عند بحثنا في الدراماة

المرار : الحوار هو مطارحة الحديث بين شخصين أو ثلاثة على الأكثر ، أما الرابع فقلما يكون له شأن في الحديث أو خطر . ومن الصعب أن تشركه فيه ما لم يكن دوره أن يظل صامتاً أثناء

الحديث ، أو يؤيد ببض المتحدثين بكلمات قليلة . وشرطه أن يكون جيد الناقلة ، سديد الساجلة ، حسن التقطيع ، مطابقاً لموقف التكلم وخلفه ، متغير اللهجة والجرس تبعاً لمقتضى الحال ، سريع الجواب قصير الخطاب ، فلا يشبه دفاع المحامى ولا خطبة الخطيب ، لأن ذلك يزهق روح الجاذبية ويمت السام في النفس . وأجدر الأساليب به أسلوب الطباى والمقابلة

- نجوى النفس . نجوى النفس هو حديث المثل مع نفسه بصوت مسوع ، ومحلّه حين تضطرب حال الشخص ، فيقلبه الجزع ويفترسه الشك ، فينفجر بالكلام المجهير معلناً عن ضميره مصرحاً بسرّه ، ولو لم يكن هناك من يسمعه . وقد غالى رجال المذهب الابتداعى في استعمال نجوى النفس ، فاصدين بذلك الى حذف الأنبياء (Les confidents) وهم أشخاص كان كتاب الأخرىق ومقلدوم من القدماء يضمونهم في الرواية لا لشيء غير أن يسر اليهم البطل ما يفكر ويقدر بدله أن يتحدث الى نفسه . ولكن الابتداعيين باسرافهم في النجوى ، وإسماهم فيها لم يبرئوها من النقص والاملال . فلهو جومثلاً في رواية هرنانى نجوى ألقاها (دون كارلوس) على قبر شرلان بانقت ستين ومائة بيت ! وجمال النجوى أن تكون قصيرة إلا اذا كان اضطراب الشخص قوياً فلا بأس أن تطول قليلاً .

أنواع الرواية

- موضوع الفن الروائى هو حياة الناس بأسرها . فهو يصور المضحك والمبكى من الحوادث ، ويصف الخامل والنابه من الناس . فاذا كان العمل الذى يمثله جدياً ، والأشخاص الذين يصورهم من الطراز الأول والطبقة العالية سعى مأساة . وإذا كان العمل هزلياً منترعاً من حياة العامة مصوراً لميوهم سعى ملهاة . أما اذا جمع بين الجد والهزل ، أو اقتصر على الجد ولكن أشخاصه من طبقة العامة والسوقة ، فتلك هى المأساة الحديثة أو الدراماة . وكل ذلك يؤدى عن طريق الألقاء ، فاذا أدى عن طريق الموسيقى والغناء ، كانت الفنائية وفروعها . وستناول كل نوع من هذه الأنواع بالشرح والتفصيل والتحليل ، إلا الفنائية فنسلم بها إلاماً على قدر صلتها الواهية بالأدب والبيان .

المأساة . La Tragédie

تعريفها : المأساة هي تمثيل عمل عظيم يبعث في النفوس الرعب والرحمة والأعجاب . وليس من الختم أن تفك الدماء وتثر الأشلاء فوق المسرح لتحدث تلك الآثار ، بل يكفي أن يكون العمل جليلاً والشخص نبيلاً ، والهوى التحكم رقيقاً ، حتى ينشأ ذلك الحزن الرهيب الذي يجدر بالمأساة . ومعنى ذلك أن يكون العمل خطيراً كأرجاع ملك مفصوب ، أو إخضاع هوى مستحكم ؛ وأن يكون الأشخاص من ذوى التيجان وطلاب العروش ، لأن وجيعة النفس لمصاب الملوك أشد من وجيعتها لمصاب السوقة ؛ وأن يكون الموضوع مقتبساً من الماضي ليكسب العمل جلال القدم ؛ وأن يكون الهوى المحرك للرواية هو الطمع أو الانتقام أو الحب .

هكذا كانت المأساة بمسد كوزني : أرستقراطية العمل والأشخاص والأسلوب والتعرض . وقد درج الناس دهوراً يوجبون أن تكون نهايتها فاجحة محزنة ، أخذاً برأى أرسططاليس كما علمت ، ولكن هذا الرأي جانبه النطق وخالفه الواقع فأصبح غير واجب ولا محتوم ، لأن العمل قد يثير الأعجاب ويبعث الرهبة والرحمة ، ثم يتعمى مع ذلك بالسرور والقبطة .

غرض المأساة : فغرض المأساة إذن هو إصلاح النفوس بإثارة الرهبة من الجرم القاض ، والرحمة للفضل المذبذ ، والأعجاب بالصنع الجميل . وطريقها إلى ذلك أن تمثل لنا أمثالنا وهم يصارعون الخطر ويكابدون المصيبة ، على شرط أن يكون هذا الخطر مما يفزعنا ، وتلك المصيبة مما يروعنا ، وأن يكون هذا التمثيل مصبوغاً بلون الحقيقة حتى يندفع أبصارنا ويملك بصائرنا ، فنتأثر التأثير الذي نحبه على أنك تسألني ما لثة المرء في شهوده نواب الناس وسماعه أنين غيره ؟ يقول أرسططاليس إن مصدر هذه اللذة هو إلتقان التقليد ، ويقول (لُكْرِيس) إن مصدرها شعور الانسان بالنجاة والأمن من مصائب يصلاها غيره وهو بعيد عنها ، كذمة الجالس على شاطئ البحر يصرف في عزمه سفينة تصارع الموج وتكافح الخطر وهو رخي البال هاديء السر . ويؤخذ من خطاب الشاعر الهندي طاغور الذي ألقاه في مسرح الأوبكيا حين مر بمصر أن مصدر هذه اللذة تمثيل الحقيقة . « لأن الحقيقة من حيث هي ،

جمال لا يعد له جمال . ألت ترى إلى صورة المرأة المعجوز أبدعها فنان ماهر ؟ إنك تنظر إلى الصورة فتقر بجمالها ، ولكن المعجوز التي فيها ليست على شيء من الجمال ، وإنما جمال الصورة أنها تمثل هذه المرأة على حقيقتها »

ونحن لا ننكر أن المرء يروقه أن يفزع من الخطر وهو بعيد ، وينده أن يالم لمصاب غيره وهو آمن ، وأن تفكيره في سلامته من هذه الأرزاء وبرأته من تلك الأدوية سبب من أسباب سروره حين يشهد مأساة على المسرح ، ولكن السبب الذي يبعث فينا تلك اللذة الثرية من رؤية الألم وسماع الأنين غير هذا كله . فإن الأطفال وهم لا يفكرون هذا التفكير بلذ لهم أن يستشعروا الرعب والرحمة من سماع الحكايات المروعة المؤثرة . يظهر أن منشأ هذه اللذة فينا عند مشاهدة النظر الفاجع هو ميلنا الفرزي إلى تمرين قوانا الجسمية والنفسية ، وما يحذنه ذلك الميل في نفوسنا من قوة الشهور بمحيوتنا وعقليتنا وحاستنا وقدرتنا على العمل والتصرف . وما الأمن الذي نشعر به عند شهود هذه الفجيمة إلا شرط ضروري لحدوث منظرها تلك اللذة لا مسبب لها . وذلك التمرين الطبيعي هو علة ما نجد في الطفل من شره إلى سماع الخوارق التي ترعبه ، والحوادث التي ترهبه . وهو كذلك سبب ما ترى من سعي العامة والسوقة إلى الساحة التي كان يشق فيها المجرمون أيام كان الشنق علنياً ، وهو السبب أيضاً في ميل الأم الفليظة أو القوية إلى صراع الثيران وأنشيد الحماسة ، وميل الأم الرقيقة أو الضعيفة إلى تمثيل العواطف وقصائد التزل .

أما السبب في جعل الجاذبية للزوجة من الرعب والرحمة أساس المأساة وروحها ، فهو ما لهاتين العاطفتين دون سائر العواطف من التدرج مع الحادث ، والتبرق مع الخطر ، والأخذ بمجامع القلب شيئاً فشيئاً إلى أن يلفنا الغاية عند انتهاء العمل . أما عواطف الحماة والفرح مثلاً فلها تنشأ بقوة ثم تضمحل بسرعة

موضوع المأساة : يقع الرجل في الهلكة والبؤس لأسباب خارجة عنه ، أو صادرة منه . فالأولى تنشأ من حظه وموقفه وواجباته وعلاقاته ، ومن صروف الحياة وأحكام الآلهة ، وأفاعيل الطبيعة وأضاليل الناس . وأفجع هذه الأسباب وأوجعها ما دممت البائس من مأمنه ، وأتته بمن لا يتوقع منهم إلا الخير والنفع .

عليه ، وجعلوا المسألة صورة لصائب الرجل الخاضع لهواه ، لا لصائب الرجل الطامع لحظه ؛ وأصبح الرجل الحر الذي يضع لآله عادل يسبح بالشر ولا يأمربه ، ويتعرض لأرزاء الدهر بسبب أهوائه وأهواء غيره ، موضوع المسألة الحديثة وينبوع الأثر المروع الموجه الذي يأخذ بأذهاننا ووجداننا . ومزايها هذا المذهب هو أنه أحصب إنتاجاً لاستمداده من يتابع القلب البشري الفياضة ، وأنتم شمولاً لتحليله الانسان في كل زمان ومكان دون الاقتصاد على شعب معين وتاريخ معين ؛ وهو مع ذلك أبلغ حكمة وأنتم ملازمة للسرحد الحديث ، وأروع جمالاً في التمثيل المعصرى . ولولا الخوف من أن يسأم القارىء من تفصيل قد لا يعنيه لأفضت في شرح هذه الزاوية واحدة فواحدة ، ولكن فيما ذكرته غناء للقارىء المستفيد . وأنا عمل المسألة وصفاته كالأمكانية ، والوحدة والجازية والتأثير والمغزى ، وأجزاؤه الأساسية كالعرض والتعقيد والحل وما الى ذلك من الانقلاب والتعرف والأسلوب ، فقد سبق القول فيه .

(الزبان)

يشع

تسلم خضير



بريشة ذهب عيار ١٤
مضمون ٣٠ سنوك

لستعمله الكوكبات الشرقية
مكتبه وطبعة خضير بساع عبد العزيز

والأخرى تنشأ من ضعفه وغفلته وسيوله وأهوائه ورذائله ، وقد تأتية أحياناً من فضائله . وأسباب الهوى القرون بطيبة القلب وسلامة النية ، هي أقوى الأسباب تأثيراً وأكثرها خصوبة وأروعها حكمة . ومن هذا الفرق بين الأسباب الداخلية والخارجية نشأ للمسألة مذهبان : مذهب القدماء أو مذهب القضاء والقدر ، ومذهب المحدثين أو مذهب النفس والهوى .

مذهب القدماء : فأما مذهب القدماء أو الأغريق بتعبير أصح فيمزو مصائب الأشخاص دائماً الى سبب خارج عن إرادتهم ، حتى لو اتفق أن حدث لهم ما يكرهون بسبب غفلتهم أو ضعفهم أو ميلهم كأوديب وهيكلوب مثلاً حرص الكاتب على أن يخلق لهذه الأسباب أسباباً أولى كشيئة القدر وغضب الآلهة . ولقد انتقل مذهب الأغريق الى من خلفهم من كتاب العالم باقتباس رواياتهم أو موضوعات تاريخهم ، واستمان القلدون من كتاب الفرنج بالوم السرحى على تمثيل الماديات والبيارات ، فظهرت مقتبسات ميروب وأوديب وإفجيني وأورست لراسين وقولتير على السرح الفرنسي ، أقوى وأروع وأبدع مما ظهرت به لأوريبيندس وسوفوكليس على مسرح أتيننا .

والذي حمل الأغريق ومن لف لفهم على الأخذ بمذهب القضاء والقدر في الرواية أنه أشد تأثيراً وأقوى فية . فانك لا تجد أبث للرب وأدعى الى الرحمة من رجل يسميه القدر فتسبره قوة غير قوته ، وتسخره مشيئة غير مشيئته ، وتبعث به إرادة متحكمة غير إرادته ، ثم تراه يجهد عبثاً في الفرار من جريمة تراصده ، أو التجاء من مصيبة تطارده . وذلك هو مذهب الرواقين الذي تلخصه (سنكا) في هذه الجملة :

(إن القدر يقود ذوى الأرادة ولكنه يجرف فاقديها) ذلك فضلاً عن موافقة هذا المذهب لسرحهم وعبادتهم وسياساتهم وعاداتهم مما لا نجد داعياً لشرحه وتفصيله .

مذهب المحدثين : على أن القدماء كان لهم بجانب مذهب القدر الذى أملاه عليهم الدين والتاريخ والاقليم مذهب آخر هو مذهب النفس والهوى ، ولكنهم أغفلوه إما لضيق تأثيره وإما لعدم انطباقه على نظام مسرحهم فى سفته وشكله ووسيلته ، حتى جاء المحدثون وأولهم كرنى أبو المسألة الحديثة ، فأخذوا به وساروا